قراءات لنظرة ثلاثة أدباء أتراك حول نضال الجزائر وكفاحها لنيل الاستقلال

د. إبراهيم شعبان

قسم اللغات الشرقيّة وآدابها بكلية الآداب جامعة اسطنبول - تركيا-

حظي النضال الجزائري لنيل الاستقلال في تشرين الثاني من عام 1954م واستمر حتى عام 1962م، على اهتمام الصحف والجرائد التي كانت تنشر في تركيا في تلك الفترة، إذ كانت تخصص له مكانا كبيرا على صفحاتها منذ انطلاق شرارة ذلك النضال. إلا أن كل المعلومات المتعلقة بذلك الصراع والنضال، كانت عبارة عن أخبار خام دون تعليقات أو تحليلات، تُؤخذ من وكالات الأنباء والصحف الغربية، وذلك لأن معظم الصحفيين الأتراك في تلك الفترة كانوا لا يعرفون اللغة العربية، فضلا عن أن فرنسا ظلت تمنع دخول الصحفيين الأجانب إلى الجزائر حتى عام 1957م⁽¹⁾.

واعتبارا من عام 1957م؛ بدأت التعليقات والتحليلات الصحفية المتعلقة بالنضال الجزائري تزداد بشكل ملحوظ. ونحن نريد في هذا العمل أن نتناول بعض الكتابات والآراء التي تحدثت عن معاناة الشارع الجزائري في نضاله من أجل نيل الاستقلال، وذلك من خلال كتابات وتعليقات وأراء ثلاثة من الأدباء الأتراك الكبار، وهم: يعقوب قدرى قره عثمان أوغلو (1889م-1974م) وجودت قدرت صولوق (1907م-1992م) وفاضل حُسنو داغلارجا (1914م-2008م).

أول هؤلاء الأدباء:

يعقوب قدرى قره عثمان أوغلو (1889م-1974م) Yakup Kadri

Karaosmanoğlu

يعقوب قدري روائي وشاعر وصحفي ودبلوماسي تركي، ولد في العاصمة المصرية القاهرة في عام 1889م، بينما كانت وفاته في أنقرة عام 1974م. عمل يعقوب قدري سفيراً للبلاد في العديد من العواصم والمدن مثل العاصمة الألبانية تيرانا (1934م)، وعاصمة جمهورية التشيك براغ (1935م)، والمدينة الهولندية لاهاي (1939م)، والعاصمة السويسرية برن (1942م-1951م)، والعاصمة الإيرانية طهران (1949م). وأحيل للتقاعد وهو سفيراً لتركيا في برن 1955م، ومن ثم عاود الرجوع إلى الوطن مرة ثانية لبدأ الكتابة في العديد من الجرائد والمجلات المختلفة، كما أنه تولى رئاسة تحرير جريدة "أولوس" التركية عام 1957م⁽²⁾.

وكانت جريدة "أولوس" التي غطت بشكل كبير أخبار الأحداث التي اندلعت في الجزائر، صحيفة النشر الرسمية لحزب الشعب الجمهوري التركي المعارض. وكان يكتب في تلك الجريدة كوكبة من كتاب السياسة الخارجية المتميزين في تلك الفترة أمثال: الصحفي "أحمد شكري أسمر" (1893-1982)، و"بولنت أجاويد" (1925-2006) رئيس الوزراء التركي السابق، والصحفي والشاعر والكاتب والسياسي، و"حسين جاهد يالتشين" (1875-1957) وهو صحفي وكاتب ومترجم وسياسي تركي. وقام ثلاثتهم من خلال كتاباتهم عن السياسة الخارجية بالتطرق أحيانا إلى الأحداث الجزائرية، منتقدين السياسة الخارجية التي تتبناها الحكومة التركية آنذاك حيال ذلك وسار يعقوب قدري على نفس درب غيره من الكتاب في تلك الجريدة في انتقاد سياسة الحكومة في تناولها للعديد من القضايا الخارجية، وذلك من خلال كتاباته المختلفة التي نشرها على صفحات "أولوس".، وكان موقف الحكومة التركية من المسألة الجزائرية أحد النقاط التي انتقدها يعقوب قدري.

ففي مقالة منشورة له عام 1956م قام يعقوب قدري بتقييم الأحداث الجارية في الشرق الأوسط، وتكلم في هذا المقال عن حق الكفاح والنضال لنيل الاستقلال،

معلنا عن دعمه وتأييده لنضال تركيا لنيل استقلالها، مشيرا إلى أن تركيا كانت هي الدولة الأولى التي بدأت نضال الاستقلال، وقدم في تلك المقالة آراء مختلفة عما يقتنع به بعض الكتاب في تلك الفترة، مقتبسا بعض الاقتباسات من مصطفى كمال أتاتورك؛ فلتترقبوا الشمس التي ستبزع الآن من الشرق. فإني لأرى انتفاضة شعوب الشرق كلها وكأني أرى بزوغ شمس اليوم. فهناك العديد من الشعوب الأشقاء ستنال الاستقلال والحرية. وليس هناك شك في أن هذه الشعوب بحصولها على الاستقلال والحرية ستجد طريقا تلتمس فيه الرقي والرفاهية. والنصر سيكون حليف تلك الشعوب برغم كل القوى ورغم كل الموانع. سينالون الاستقلال الذي ينتظرهم. بل وسيكون مصير الاستعمار والإمبريالية إلى فناء، ويحل محلها عصر جديد من التعاون والتناغم الدولي لا يفرق بين الشعوب على أساس اللون أو الدين أو العرق"⁽³⁾.

وفي مقالة أخرى ليعقوب قدرى تسمى "نضال فكري في فرنسا"، تحدث عن أن عالم الفكر في فرنسا الذي غاب عن نفسه منذ حروب عام 1914م وعام 1939م، قد فاق واستفاق بما أتت به الأحداث التي أسفرت عنها قضية الجزائر من ضياء ونور حاد واضح، وعاد ذلك العالم إلى شكله البراق الذي كانت تعرفه وألفته الأجيال القديمة:

"... لقد كان لذلك الضوء الحاد والواضح الذي أتت به الأحداث التي أسفرت عنها قضية الجزائر، الأثر الأكبر في تبيد تلك الظلمة التي كانت جاثمة على ضمير المثقفين الفرنسيين وذكائهم. والجميع على علم بتلك التدابير العنيفة التي اتخذتها الحكومة الفرنسية في سبيل حل تلك القضية..."⁽⁴⁾

الأديب الثاني:

جودت قدرت صولوق (1907-1992) Cevdet Kudret Solok

ولد الأديب والمؤرخ جودت قدرت صولوق في السابع من شهر شباط/فبراير عام 1907م بمدينة اسطنبول التي توفي بها أيضا في العاشر من شهر تموز/يوليو لعام 1992م، وقام بنشر اشعار وروايات ونقد أدبي في العديد من المجالات التركية. كما أنه أعد كتابا دراسية مساعدة لمرحلة التعليم المتوسط. ولقد انتقد جودت قدرت السياسة التي تنتهجها الدول الغربية تجاه الدول النامية، وذلك في مجلة "الاتجاه" التي بدأت تنشر بشكل إسبوعي بدء من 20 كانون الأول/ديسمبر 1961م⁽⁵⁾.

وقامت مجلة "الاتجاه" في تحليل وتقييم الحقائق حول الأحداث في الجزائر، في إطار آرائها الشخصية، وكتبت في هذا السياق أن قادة الاستقلال وزعمائه أناس خرجوا من بين الشعب قد ساهمت الحروب في تشكيلهم، وأنهم ذوو ميول اشتراكية، مضيعة أن الجيش الذي سيلعب دورا في نشأة الجزائر، هو مصدر قوة الشعب الجزائري. وذكرت المجلة كذلك أن الشعب الجزائري، شعب "بروليتاري"، وأن حوالي مليون أوروبي هم الذين يسيطرون على كافة مناحي الحياة في البلاد الإدارية منها والاجتماعية والاقتصادية، لافتة إلى أن الثمانية مليون جزائري فقدوا اعتبارهم لأنهم كانوا يعاملون معاملة مواطن من الدرجة الثانية، ولأنهم كانوا في منزلة أعداء للبرجوازية المحلية المحدودة في البلاد.

من جانبه ذكر "جودت قدرت" أحد كتاب مجلة "اتجاه، أن الجزائر استقلت، لكن الجرائم لا تزال مستمرة، موضحا أن الأماكن فقط هي التي تغيرت بينما مواقف تركيا لم يطرأ عليها أي تغيير. وأوضح قدرت إلى جانب هذا أن تركيا لم تكن دولة استعمارية، وإنما هي دولة خاضت حرب استقلال تخلصت بموجبها من شبه الاستعمار. وتساءل في الوقت ذاته عن موقف تركيا وهي دولة خاضت حرب

استقلال ضد المستعمر، تجاه الدول والشعوب التي تأن تحت وطأة الاستعمار، وبين الدول المستعمرة. وشدد على أن تركيا يجب أن تأخذ لها مكانا يرتضيه المنطق والمشاعر، مشيرا إلى أن البلاد بعد موت أتاتورك انحرفت صوب أشياء تخالف العقل والمنطق. وقال جودت قدرت كذلك إن تركيا في ثورات الشعوب التي تناضل من أجل الاستقلال كانت دائما ما تأخذ مكانا في الطرف المضاد، وكانت تتعاون مع الدول المستعمرة. واستشهد من أجل اثبات ذلك بنماذج من ثورات كوبا والجزائر والكونغو.

"... فإن الجزائر قد اتخذت قرارا بمحاربة العدو بكل ما أوتيت من قوة للانتصار عليه، وهذا هو رأي أتاتورك في الاستقلال... واستطاع ذلك الشعب أن يتخلص من ذلك الاستعمار بالمشابرة، ومات منه آلاف بل ومئات الآلاف، لكنهم لم يموتوا هباء... بل في سبيل استقلال الوطن .

وإن الأراء التي ندافع عنها اليوم لا تتوافق مع أفعالنا التي فعلناها قبل ذلك... وذلك لأن الشعب الذي أن تحت وطأة الإستعمار ليس بحاجة إلى أي تحريض خارجي في ظل وجود ضغط يمارس عليه من المستعمر نفسه. ونحن أيضا في حرب الاستقلال التي خضناها قمنا بطرد الأوروبيين من أرضنا، بل وتحديثنا عن عداوة الغرب في نشيد استقلالنا... واستفادنا من مساعدات مادية في تلك الحرب، لكن لا يمكننا أن نقول عن ذلك تحريضا سوفيتيا...

فنحن من كان في طليعة الشعوب التي حصلت على الاستقلال في المجالين السياسي والاقتصادي. والآن نأتي وننصح الشعوب التي تسير على دربنا، بأن يفعلوا عكس ما فعلناه نحن. وبذلك نحن نكبل الشعوب التي ينبغي علينا دعمها ومساندتها. هذا ما يقوم به كتاب من عندنا ضحوا بالكثير من أجل الانتصار في حرب استقلالنا. فالإزدواجية في تناول الأمور بحيث نحلل الأحداث بالنسبة لنا بشكل، وبالنسبة لأناس آخرين بشكل آخر، أمر يوضح أننا لم نعي بعد أننا قمنا

بحرب استقلال.... قتل ملايين الجزائريين منذ عام 1830 حتى الآن، بالإضافة إلى 166 ألف جزائري في فترة الست سنوات ونصف التي وقعت فيها الثورات الأخيرة، هذا فضلا عن حوال 22 ألف وضعوا في السجون، وحوالي 30 ألفا كانوا في معسكرات التجميع، ومليون جزائري تم نفيهم إلى أماكن أخرى، وناهيك عن الدماء التي سالت والدموع التي انهمرت في خضم هذه الأحداث..".

ودعم جودت قدرت كل الشعوب التي تخوض حروب الاستقلال ضد الاستعمار، ولم يكن دعمه قاصرا على الشعب الجزائري فحسب، كما أنه انتقد بشدة كل من يدعمون دول الاستعمار ضد تلك الشعوب:

"... وها هو قد بدأ حزننا على الكونغو دون أن تنتهي بعد أحزاننا على الجزائر..."

الأديب الثالث:

فاضل حُسْنُو داغلا رجه (1914-2008) Fazıl Hüsnu Dağlarca

ولد في مدينة اسطنبول عام 1914م، وتوفي بها أيضا عام 2008م، وهو أحد الشعراء الأكثر إنتاجا للشعر في الأدب التركي في فترة الجمهورية، ولقد انتقد هذا الشاعر في أشعاره العديد من الأشياء مثل ظروف العمل الصعبة في البلاد، وعدم التوازن بين طبيعة العمل القاسية وبين الأجور، والمشاكل الصحية، وهجرة الناس من القرى للمدن، ومن الوطن إلى خارجه، وانتقد العلاقات السياسية العالمية، ورجال السياسة، وغيرها من الموضوعات المشابهة.

وبعد فترة الستينيات بدأ يكتب أشعارا مناهضة للضغط الاستعماري، وداعمة للشعوب التي تأن تحت وطأة الاستعمار، ونادى في تلك الأشعار إلى ضرورة الحفاظ على المنافع الوطنية، أي أنه في أشعار تلك الفترة أخذ يهتم بالمشاكل الداخلية والخارجية بشكل متوازن. ففي قصيدتيه المسميتان "داياق: الضربة" (1965م)، و"عريضة بدون طابع بريد" (1965م) نادى بحرب ضد القوى

الاستعمارية والاستعمار، وفي كتابه المسمى "حرب فيتنام" الذي كتبه عام 1966م، أعرب الكاتب عن تعاطفه الكبير مع الفيتناميين⁽⁶⁾.

وفاضل حسنو الذي دعم من خلال كتاباته وأشعاره حروب الاستقلال المختلفة على وجه الأرض، لم يقف صامتا أمام النضال الجزائري لنيل الاستقلال، بل دعمه، وأعلن عن وقوفه بجانب الشعب الجزائري. وكتب في هذا الصدد قصيدة شعرية تسمى "أنشودة الجزائر"، نشرها في عام 1961م باللغات العربية والانجليزية والفرنسية⁽⁷⁾.

الخاتمة:

إن كانت الحكومة التركية لم تأخذ موقفا رسميا بجانب الشعب الجزائري في كفاحه ونضاله لنيل الاستقلال، لكونها عضوة في حلف شمال الأطلسي "الناتو" في تلك الفترة، فإن الأدباء والشعب التركي بصفة عامة، قد ألم بهم، ودعمهم في كفاحهم ونضالهم ضد المستعمر المغتصب.

وفي الختام أشكركم على حسن استماعكم، راجيا من الله أن أكون قد وفقت في لقاء الضوء على حقيقة نظرة الشعب التركي على المستوى الشعبي لنضال الجزائر الذي خاضته في سبيل نيل استقلالها، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

الهوامش:

- 1- Şinasi Sönmez, "Cezayir Bağımsızlık Hareketi ve Türk Kamuoyu (1954-1962)", Hacatepe Üniversitesi Atatürk İlkeleri ve İnkılâp Tarihi Enstitüsü Doktora Tezi, Ankara 2007; Yrd. Doç. Dr. Şinasi Sönmez, "Cezayir Bağımsızlık Hareketinin Türk Basınına Yansımaları (1954-1962)", ZKÜ Sosyal Bilimler Dergisi, Cilt 6, Sayı 12, 2010, s. 289-318.
- 2- Y. Tuncer Küçükbatır, Hermann Broch ve Yakup Kadri Karaosmanoğlu'nun Romanlarında Yitirilmiş Değerlerin İncelenmesi", Atatürk Üniversitesi Sosyal Bilimler Enstitüsü Alman Dili ve Edebiyatı Anbilim Dalı Doktora Tezi, Erzurum 1999, s. 132-147; Meydan Larousse Ansiklopedisi, C. 6, Meydan Yay., İstanbul, 1972, s.944-945.
- 3- Yakup Kadri Karaosmanoğlu; "Ortadoğu Hikâyeleri"Ulus, 30 Aralık, 1956.

- 4- Yakup Kadri Karaosmanođlu; “Fransada bir fikir m¼cadelesi”, Ulus, 31 Mayıs 1957, s. 3.
- 5- Meydan Larousse Ansiklopedisi, C.7, İstanbul, Meydan Yay., 1972, s. 609.
- 6- Müge Sucu Polat, Fazıl H¼sn¼ Dađlarca’nın Őiirlerinde Çocuk Teması, K¼lt¼r Bakanlıđı Yayınları, Ankara 2002, s. 61-63;
- 7- Metin Burak, “Fazıl H¼sn¼ Dađlarca’nın Çocuk Őiirlerinin, Çocuk Kitaplarının Çocukun GeliŐim Alanlarına Olan Etkileri Açısından İncelenmesi, **Zonguldak Karaelmas Üniversitesi Sosyal Bilimler Enstit¼s¼ Türkçe Eđitimi Anabilim Dalı Yüksek Lisans Tezi**, Zonguldak 2009, s. 54-58.